Administrative support functions in the era of prophecy: a study through the book Graduation of auditory semantics by Al-Khuzaie

Afra Saif Matar Abdalla Almesafri
U19102975@sharjah.ac.ae
Dr. Saleh Muhammad Zeki Mahmood AL-Leheabi
smahmood@sharjah.ac.ae
Department of History and Islamic Civilization
College of Arts, Humanities, and Social Sciences \ University of Sharjah

DOI: https://doi.org/10.31973/ess1n650

ABSTRACT

This study is limited to Medina and the regions of the State of Islam in the era of prophecy, and the importance of the study lies in highlighting the importance of the book "Graduation of auditory indications on what was in the era of the Messenger of God of crafts, crafts and legal labors", and to identify the personality of the writer, Ali Al-Khuzaie, and to see the opinions of scholars in it, and to identify the supporting administrative conditions in the era of prophecy, and to identify the administrative development of the judiciary institution, and to identify the security conditions that were in the era of prophecy.

This study aims to introduce the development of administrative conditions in the era of prophecy, and to introduce Al-Khuza'i, the author of the book on which it was based in the study, and then to clarify the most prominent and important developments in administrative work in the era of prophecy, as well as supporting functions, without going into all the administrative references contained in the book to avoid prolongation and drowning in details.

The research has been divided into two sections in the first section talks about Al-Khuzaie and the importance of writing, and the second section dealt with the administrative functions that were in the era of prophecy and these topics are the owner of the secret and the eyebrow and the book and the governor of the market.

I have concluded many things and information that I did not know about, and it never occurred to me to look for them, and I have proven that Al-Khuzaie's book is really valuable, because of its many and comprehensive information on many topics.

Key words: administration, Al-Khuza’i, the era of prophecy, Al-Madinah Al-Munawwarah.

الوظائف الإدارية المساندة في عصر النبوة: دراسة من خلال كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي

عفراء سيف مطر عبدالله المسافري
طالبة ماجستير في جامعة الشارقة/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ والحضارة الإسلامية

د. صالح محمد زكي محمود اللهيبي
أستاذ مساعد \ قسم التاريخ والحضارة الإسلامية \ كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية \ جامعة الشارقة

(مُلَخَّصُ البَحث)

تنحصر هذه الدراسة في المدينة المنورة والأقاليم التابعة لدولة الإسلام في عصر النبوة، وتكمن أهمية الدراسة في إظهار أهمية كتاب "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية"، والتعرف على شخصية الكاتب وهو علي الخزاعي، والاطلاع على آراء العلماء فيه، والتعرف على الأوضاع الإدارية المساندة في عصر النبوة، والتعرف على التطور الإداري لمؤسسة القضاء، والتعرف على الأحوال الأمنية التي كانت في عصر النبوة.

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بتطور الأوضاع الإدارية في عصر النبوة، والتعريف بالخزاعي صاحب الكتاب الذي استندت إليه في الدراسة، ثم التبيان لأهم التطورات في العمل الإداري في عصر النبوة، وكذلك الوظائف المساندة، من دون الخوض في الإشارات الإدارية الواردة في الكتاب لتجنب الإطالة والإغراق في التفاصيل كافة .

لقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين في المبحث الأول يتحدث عن الخزاعي وأهمية كتابة، وأما المبحث الثاني فتناولت فيه عن الوظائف الإدارية التي كانت في عصر النبوة ومن هذه الموضوعات صاحب السر والحاجب والكتاب ووالي السوق.

لقد استنتجت عددا من الأمور والمعلومات التي لم يكن لدي علم بها، ولم يخطر على بالي في يوم من الأيام أن أبحث عنها، وقد ثبت لي أن كتاب الخزاعي كتاب ثمين حقًّا؛ لما فيه من معلومات شاملة لموضوعات كثيرة.

الكلمات الدالة: الإدارة، الخزاعي، عصر النبوة، المدينة المنورة.

مقدمة:

يتميز النظام الإسلامي عن غيره في شتى الشرائع قديمها وحديثها بميزات قدمها للعالم، فالنظام الإداري الإسلامي يستمد جذوره من مصدر أساس هو القرآن الكريم، وقد حوى القرآن الكريم أمور الدنيا والدين واشتمل على الأحكام التي تصلح لكل زمان ومكان، ثم تأتي من بعده السنة النبوية، وهي ما جاء إسناده صحيحًا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قولًا وفعلًا وتقريرًا، ثم بعد ذلك يأتي دور الفقه والاجتهاد.

إن الدولة التي أقامها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المدينة بعد هجرته، كانت لها مقومات اقتصادية وسياسية واجتماعية، تعتمد في بنائها وفي تسيير حركتها على أفراد يديرونها ويحققون أهدافها، صيغت هذه المقومات في بنائها على وفق هياكل تنظيمية، وليس من مقدور الإنسان الذي تتوافر فيه صفات الحياد والموضوعية أن يتجاهل دقة النظام الذي التزمه المسلمون الأوائل تحت قيادة وتوجيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند هجرته الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، ثم في غزواته وسراياه، ويمكن القول: إن الدولة الإسلامية في عصورها كان لها جهاز إداريٌّ يُستند إليه في تنظيم شؤونها وإدارتها على وفق مبادئ وأصول واضحة ضمنت لها هذا الارتقاء الحضاري الذي أكدته عبر تاريخها.

وتجدر الإشارة إلى أن الخزاعي من أسرة أندلسية عرفت بالفقه والعلم، واسمه علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي، ويكنى أبا الحسن وأحيانًا أبا السعود.

ولي القضاء بمدينة أدله الأندلسية في أوائل عهد الدولة النصرية، فولاه ثالث سلاطين بني نصر الأشغال السلطانية، أي أنه جعله صاحب ديوان العساكر، ثم ارتحل واستقر بتلمسان مع ابنه محمد، وتوفي جده أحمد بتلمسان، وبقى ابنه محمد الذي لقي حظوة لدى أصحابها بني زيان فعمل كاتبًا، ولد علي الخزاعي في تلمسان سنة ٧١٠ هـ، وقد خلف أباه في خدمة بني عبد الواد بتلمسان، فتولى خطة الأشغال السلطانية لأمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان بن عبدالرحمن بن يحيى بن يغمراسن، ولقد كان متصدرًا في تلك المحافل. شهد عصره عدم استقرار الأوضاع بتلمسان، وتدهور العلاقة مع المرينيين أحيانًا، والزيانيين، لاحتياز المدينة، وتوفي يوم الأحد الخامس من ذي القعدة سنة ٧٨٩ ،ودفن في مدينة فاس.

إن أشهر كتاب للخزاعي هو كتاب "تخريج الدلالات السمعية على ما كان عليه في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية"، وفي مقدمة كتابه كان يلتقط الفوائد ويقتنص الشوارد التي سيبني عليها كتابه أيام عزلته عن العمل، واستمر في الجمع والتبويب حتى انتهى من ذلك سنة ٧٨٦، وعندما انتهى منه أطلق عليه العنوان الذي ذكرته في السابق.

إذًا يعد كتاب "تخريج الدلالات السمعية على ما كان عليه في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" من أهم كتب التاريخ في مجاله؛ لأنه يحتوي على عدد من الأجزاء التي لم يتناولها غيره، كما يذكر لنا الخلافة والوزارة، فضلًا عما ذكره عن عصر النبوة، والعمالات الفقهية، وعمالات العبادات، والعمالات الكتابية، وأيضًا القضائية والجهادية، وما يتشعب منها، والعمالات الجبائية، والعمالات الاختزانية، وسائر العمالات، فضلًا عن ذكر حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وذكر من عملها من الصحابة (رضي الله عنهم)، والجزء الأخير عن أمور متفرقة. وهو مجلد واحد يحتوي على عشرة أجزاء، ويعد هذا الكتاب مهمًّا جدًّا.

والسبب في تأليف الخزاعي لهذا الكتاب هو أنه رأى كثيرًا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه وليس له من أدوات الطالب إلا مداده وقلمه، يظنون أن تولي الأعمال السلطانية بدعة، وإنه كان من الأجدر بهم الترفع عنها؛ ولهذا قام بجمع مادة كتابية ليثبت أن العمالات الشرعية ليست شيئًا مستحدثًا، وإنما هي خطط وجدت أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن قرأ هذا الكتاب فسيجد الحقيقة الصادقة التي أراد الخزاعي إثباتها؛ لذلك سنسعى في هذا الكتاب إلى عرض تطور الأوضاع الإدارية في عصر النبوة.

مكان الدراسة:

ينحصر مكان هذه الدراسة في المدينة المنورة والأقاليم التابعة لدولة الإسلام في عصر النبوة.

زمان الدراسة:

الإطار التاريخي للدراسة هو عصر النبوة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في:

- إظهار أهمية كتاب "تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية".
- التعرف على شخصية الكاتب وهو علي الخزاعي، والاطلاع على آراء العلماء فيه.
- التعرف على الأوضاع الإدارية المساندة في عصر النبوة.
- التعرف على من كان صاحب السر في عصر النبوة
- التعرف على مهنة الحجابة وكيف بدأت هذه المهنة بالظهور.
- التعرف على أقسام الكتاب في عصر النبوة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة في المقام الأول إلى التعريف بتطور الأوضاع الإدارية في عصر النبوة، والتعريف بالخزاعي صاحب الكتاب الذي استندت إليه الدراسة، ثم التبيان لأهم التطورات في العمل الإداري في عصر النبوة، وكذلك الوظائف المساندة في عصر النبوة، من دون الخوض في الإشارات الإدارية الواردة في الكتاب؛ لتجنب الإطالة والإغراق في التفاصيل كافة .

مشكلة الدراسة:

تسعى الدراسة لمعالجة إشكالية تقدمها فكرة: هل التطور الإداري في الدولة المسلمة انطلق في أساسه وتفاصيله من عصر النبوة؟ وما مدى إمكانية تأكيد ذلك عبر كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي؟

أسئلة الدراسة:

تسعى الدراسة للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما أهمية كتاب تخريج الدلالات السمعية لتاريخ الإدارة في عصر النبوة؟
- ما أهم الوظائف الإدارية المستحدثة في عصر النبوة؟
- كيف بدأت مهنة الحجابة في عصر النبوة؟
- من ولي السوق في عصر النبوة؟

منهجية الدراسة

إن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو منهج البحث التاريخي، القائم على جمع المعلومات، واستقصاء الإشارات المتعلقة بالموضوع في المصادر المتوافرة كافة، وإخضاعها للنقد والتحليل، واستخراج ما فيها من معلومات، ثم تبويبها وعرضها بطريقة مناسبة للوصول إلى النتائج المرجوة.

الدراسات السابقة

١. الحسناوي، أحمد جايد بدر، و زمان عبيد وناس. "الجوانب الاقتصادية في كتاب تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية" لعلي بن محمد الزاعي: ت. ٧٨٩ هـ / ١٣٨٦ م" رسالة ماجستير. جامعة كربلاء، كربلاء، ٢٠١١.

وهي دراسة مهمة، غير أنها تركز على الجوانب الاقتصادية حصرًا، ولا تركز على الجوانب الإدارية.

٢. وناس، زمان عبيد، وماجد عبد زيد أحمد الخزرجي. "دراسة فى درهم الكيل الشرعية والدينار المستعملة عهد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي وما يعادلها في النظام المتري". مجلة العلوم الإنسانية: جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الإنسانية ع١٢ (٢٠١٢): ٧٣ – ٨٤.

وهي دراسة عالجت جوانب اقتصادية محددة، فهي تركز على النقود وما يرتبط بها من المكاييل، ولا تشمل الجوانب الإدارية.

وتم تقسيم خطة البحث كما يأتي:

ملخص

مقدمة

المبحث الأول: الخزاعي وأهمية كتابه:

المطلب الأول: اسمه ،ونسبه، وكنيته، ومولده، ونشأته ،وأسرته.

المطلب الثاني: رحلاته وشيوخه.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المطلب الرابع: آراء العلماء فيه ووفاته.

المطلب الخامس: أهمية كتاب تخريج الدلالات السمعية في دراسة الأوضاع الإدارية في عصر النبوة .

المبحث الثاني: الوظائف الإدارية المساندة:

المطلب الأول: صاحب السر

المطلب الثاني: الآذن، والحاجب، والبواب.

المطلب الثالث: الكُتّاب.

المطلب الرابع: والي السوق.

الخاتمة

قائمة المصادر والمراجع

المبحث الأول: الخزاعي وأهمية كتابه:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه ،وكنيته، ومولده ،ونشأته، وأسرته

أولاً: اسمه، ونسبه ،وكنيته

هو علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص٧) وفي كتاب الكتاني هو أبو الحسن علي ابن ذي الوزارتين محمد بن أحمد بن موسى بن سعود بن موسى بن أبي غفرة الخزاعي. (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص٣٩). ويكنى بأبي الحسن(الأحمر، ١٣٩٦هـ \ ١٩٧٦م، ص ٢٤٩) وأحيانًا بأبي السعود، وهو من أسرة أندلسية عرفت بالفقه والعلم. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص٧) ويعد الخزاعي مؤرخًا وأديبًا، وشاعرًا، وكاتبًا أندلسي الأصل.(نويهض ، ١٤٠٠هـ\١٩٨٠م، ص١٣٢)

في كتاب التراتيب الإدارية للكتاني أنه ابن ذي الوزارتين محمد بن مسعود الخزاعي، ولد في تلمسان، توفي في فارس، ودرس في الأندلس الأدب، وتنحدر عائلته العريقة من الأندلس. وبعد ذلك ظهرت تحليلات من كتاب (مستودع العلامة) لابن الأحمر، فوصفه بـ: ذي الوزارتين، القائد، والفقيه، والكاتب، وصاحب الأشغال السلطانية محمد بن الفقيه القاضي موسى بن مسعود الخزاعي. (الكتاني المغربي ، ٢٠١٧م ، ص ٨٥)

وأيضًا تحدث عن اسم الخزاعي في كتاب (لب اللباب، في تحرير الأنساب)، قال السيوطي: نسبة إلى خزاعة قبيلة من الأزد. وفي كتاب (القاموس): خزاعة: حي من الأزد، سموا بذلك ؛لأنهم تخزعوا من قومهم وأقاموا بمكة. وفي كتاب (الصحاح): لأن الأزد لما خرجت من مكة لتتفرق في البلاد تخلفت عنهم خزاعة، وأقامت بها. وفي كتاب (العبر): كانت مواطنهم بمكة ومر الظهران، وما بينهما".(الكتاني المغربي ، ٢٠١٧م ، ص ٨٦)

ثانياً: مولده

ولد الخزاعي سنة ٧١٠ هـ \ ١٣١٠و ١٣١١م، في تلمسان، ويعد الخزاعي تلمساني المولد. كما قال ابن القاضي: "تلمساني المولد ... أندلسي الأب والسلف".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص٧)

وذلك أخذ كما في رواية المكثر أبي عبدالله بن أحمد بن مرزوق التلمساني، والمحدث قاضي الجماعة بالجزيرة أبي البركات محمد بن أبي بكر البلفقي.) الكتاني، ٢٠١٧م، ص٤٠)

ونستنتج من خلال هذا أن هذين الشخصين هما من أخذ عنهما مولد الخزاعي أنه عام ٧١٠ هـ \ ١٣١٠و ١٣١١م، في تلمسان.

ثالثاً: نشأته وحياة أجداده

نشأته

خلف علي أباه في خدمة بني عبد الواد في تلمسان، وتولى خطة الأشغال السلطانية لأمير المسلمين المتوكل على الله أبي سعيد عثمان بن عبدالرحمن بن يحيي بن يغمراسن ٧٥٣-٧٣٧هـ \ ١٣٥٣-١٣٣٦م، فلقد كان صدرًا في تلك المحافل والنوادي، بسبب عدم استقرار الأوضاع في تلمسان، وتكرر محاولات المعارضة من قبل المرينيين من جهة والزيانيين من جهة أخرى للسيطرة على المدينة، وهذا الأمر جعل عليًّا الخزاعي يغادرها ويتوجه إلى منطقة فاس، حيث كلف في فاس بأعباء خطة الأشغال السلطانية كما كان حاله في تلمسان في أيام السلطان المريني أبي عنان فارس الملقب بالمتوكل على الله ٧٥٩-٧٤٩هـ \ ١٣٥٨-١٣٤٨م. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٨-٧)

ولقد بقي الخزاعي حتى آخر حياته في خدمة سلاطين بني مرين، ولقد ظل كاتب الأشغال السلطانية لأبي يحيى أبي بكر السعيد بالله ٧٦٠-٧٥٩ هـ-1359 \ ١٣٥٧ م، ثم لأبي سالم إبراهيم ٧٦٢-٧٦٠ هـ\ ١٣٦١-١٣٥٨م في نفس الوظيفة، ولقد أضاف إليه أبو سالم كتابة العلامة أو (خطة القلم الأعلى)، ولقد كان معاصرًا لأبي القاسم ابن رضوان صاحب كتاب الشهب اللامعة في السياسة، واستمر في فترة حكم أبي زيان محمد المنتصر بالله ٧٦٧-٧٦٣ هـ \ ١٣٦٦-١٣٦١م، وحكم أبي فارس عبد العزيز المستنصر بالله ٧٧٤-٧٦٨ هـ \١٣٧٣-١٣٦٦م وحكم ابنه أبي زيان السعيد بالله ٧٧٦-٧٧٤ هـ \١٣٧٥-١٣٧٢م . (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٨) برز الخزاعي في الأدب والنحو واللغة والإلمام بالفقه والحديث والشعر، وبهذا أورد له ابن الأحمر قصيدة مدح المتوكل على الله، وأيضًا أورد له ابن القاضي مقطوعة قالها حين عثرت بموسى بن أبي عنان المريني فرسه، وكان معروفًا بجودة الخط، وكل هذه الوسائل الثقافية أعدته ليكون صاحب الأشغال السلطانية، وهذه الوظيفة تشبه أن تكون وراثية في أسرته؛ لأنها تعتمد بشكل كبير الشؤون الحسابية؛ و اعتمد في إتقانها والده قبل أي شيخ آخر، ومن أجل ذلك لم يتبحر في علم معين، ولم يكتب له البروز أو الظهور في اتجاه علمي محدد. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م،ص ٩-٨)

رابعاً: أسرته

سوف أتطرق إلى الحديث عن والده وأجداده، فجد والده (موسى بن سعود) الفقيه ولي القضاء بمدينة أدله في الأندلس، في أوائل عهد الدولة النصرية، ثم خلفه ابنه (أحمد بن موسى) وهو جد الخزاعي، فولاه أبو عبدالله محمد بن محمد بن يوسف الأحمر ثالث سلاطين بني نصر ٧٠٨-٧٠١هـ \ ١٣٠٩-١٣٠١ م الأشغال السلطانية، أي جعله صاحب ديوان العساكر. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص٧)

أما عن جد والده (أحمد بن موسى) فوجد أنه اغترب عن الأندلس فقام بالارتحال إلى بر العدوة، ومعه ابنه (محمد بن أحمد) وهو والد الخزاعي، واستقر في تلمسان، وبعدها توفي الجد (أحمد بن موسى) في تلمسان، وبقي فيها ابنه (محمد بن أحمد)، فاشتغل كاتبًا لدى بني زيان، ثم أصبح وزيرًا في أيام السلطان أبي زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن الزياني ٧٠٧-٧٠٣ هـ \١٣٠٨-١٣٠٣م، ثم تقلد كتابة الأشغال السلطانية في حكم أبي تاشفين عبد الرحمن الزياني ٧٣٦-٧١٨ هـ-1336 \ ١٣١٨ م، ولقد جمع والده بين خطتي السيف والقلم، وكان له رسوخ قدم في الفروسية والعلم. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م،ص٧)

المطلب الثاني: رحلاته وشيوخه

درس علي الخزاعي في تلمسان على يد شيوخها، ومنهم العالم التلمساني الكبير أبو عبدالله ابن مرزوق ٧٨١ هـ \ ١٣٨٠و١٣٧٩م وله منه إجازة؛ وأيضًا من محمد بن أبي بكر البلفيقي الشهير بابن الحجاج ٧٧١ هـ \ ١٣٦٩و١٣٧٠م. مما جعل عبد الحي الكتاني يتنبه إلى أن الخزاعي أخذ عن مثل هذين الشيخين، وهما يكادان يكونان من أقرانه ولِدَاتِه في العمر، وهذا يدل على أنه كان قليل الرواية أو إنما روى واستجاز في كبره، وكانت نشأته الثقافية تؤهله للكتابة في الديوان، وكذلك ما عرف عنه من مهارته في الحساب. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٨)

وبسبب قلة المعلومات عن شيوخه، فإن موجز المعلومات التي وجدتها هي أن عليَّ الخزاعي ووالده محمدًا بعد انتقالهم إلى تلمسان توفي الجد، وظل والده في تلمسان ورزق بابنه علي، ولقد خَلَفَ علي أباه في الوظيفة نفسها وهي (خطة الأشغال السلطانية)، واستقر في تلمسان، وبسبب محاولات السيطرة على المدينة، قرر علي الخزاعي الارتحال إلى منطقة فاس للعيش فيها، وتولى الأشغال السلطانية كما كانت وظيفته في تلمسان.

المطلب الثالث: مؤلفاته

أخرج الخزاعي كتابًا وسمه ب(تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية). وهذا العنوان ينم عن بلده ومسقط رأسه ومكان تربيته، فإن استعماله لجملة الدلالات مع وصفها بالسمعية، وجعلها عنوانًا لكتاب، لا يصدر في كثير من الأحيان إلا ممن قصر نفسه على علم الكلام وزاوله مزاولة طويلة. (الكتاني، ٢٠٠١م ،ص(٤٦ وقد ألف هذا الكتاب للسلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عنان المريني، وقد اطلع عليه عبدالحي الكتاني وكانت نسخه غير تامة (بجامع الزيتونة في تونس) فأدمجها في كتابه (التراتيب الإدارية) ونسب كل الكتاب إليه وطبع سنة ١٣٤٦هـ \ ١٩٢٨و١٩٢٧م. وقيل: إن في مكتبة شهيد علي باشا في إسطنبول نسخة كاملة من كتاب الخزاعي. (نويهض، ١٤٠٠هـ \١٩٨٠م، ص١٣٣) وقد أتم كتابه في أيام عزلته عن العمل، واستمر يجمع ويرتب حتى انتهى من ذلك سنة ٧٨٦هـ \ ١٣٨٤و١٣٨٥م، و انتهى من عمل طويل وشاقٍ تستفيد منه الأجيال. (الخزاعي ،١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ،ص ٩)

يوجد سبب جعل الخزاعي يؤلف هذا الكتاب، وهو أنه رأى كثيرًا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه، وليس له من أدوات الطالب سوى مداده وقلمه، مَن يظن الناس أن من يتولى الأعمال السلطانية يكون عمله (بدعة)، وإن هذه الأعمال تجر صاحبها إلى الإثم، وإنه يجب الترفع عن هذه المهن، وبسبب الجهل جمع مادة كتابه ليثبت أن «العمالات الشرعية» ليست شيئاً مستحدثاً، وإنما هي خطط وجدت من أيام الرسول، وتولاها الكثير من الصحابة، والذي يتولى هذه المهن لم يخرج عن النهج المرضي، بل يحرز الشرف الكبير ؛لأنه يجد نفسه واقفًا في ركب صحابي جليل، وهناك ميزة لهذا الكتاب وهي أن الذي يقرأ هذا الكتاب سيجد فيه الحقيقة الصادقة التي تزيل عن أصحاب الخطط وأصحاب الحرف وصمة بدعة. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٠)

وكل هذا مستمد من واقع المؤلف، فإنه قضى معظم عمره في خطة سلطانية، فلقد كان أبوه وجده في هذه الوظيفة، وليس بمستبعد أن يكون قد واجه انتقادًا لدخوله في سلك الدولة ومصاحبته السلطان. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٠)

أولاً: محتويات الكتاب:

قسم الخزاعي كتابه إلى عشرة أجزاء: ثمانية في العمالات وواحد في الحرف والصناعات وباب ختامي، و قسم الأجزاء العشرة في ١٧٨ بابًا، وذلك يدل على دقة ترتيب كتابه، وتتجلى دقته في الإحالة على مصادره، وفي ذكر قائمة في آخر فصل من فصول كتابه، إذ نقول إن الخزاعي يحترم النص ويعامله بأمانة، وجعل منهجه في كتابه يتحدث عن الخطة أو ما جاء في كتب الحديث بخاصة، ثم يعقد فصلًا تاليًا للترجمة لمن تولوا تلك الخطة معتمدًا في ذلك كتاب الاستيعاب لابن عبد البر، ثم إنه يبين ما يحتاجه القارئ من فوائد لغوية، ومراجعه في هذه الناحية كثيرة طليعتها الصحاح للجوهري، وديوان الأدب للفارابي، وكتب الأفعال والمخصص لابن سيده. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١١-١٠)

ينقسم كتابه إلى عشرة أجزاء، فيها مائة وثمانية وسبعون بابًا تشتمل على مائة وست وخمسين خطة من العمالات والحرف والصناعات، وقد قسم الخزاعي كتابه على النحو الآتي(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٣٢-٢٣):

١. الجزء الأول :- في الخلافة والوزارة وما ينضاف إلى ذلك \ وفيه سبعة أبواب.
٢. الجزء الثاني:- في العمالات الفقهية، وأعمال العبادات وما ينضاف إليها من عمالات المسجد، وعمالات آلات الطهارة وما يقرب منها، وفي الإمارة على الحج وما يتصل بها \ وفيه خمسة وعشرون بابًا.
٣. الجزء الثالث :- في العمالات الكتابية وما يشبهها وما ينضاف إليها \ وفيه ثلاثة عشر بابًا.
٤. الجزء الرابع :-في ذكر العمالات الأحكامية وما ينضاف إليها \ وفيه سبعة عشر بابًا.
٥. الجزء الخامس:- في ذكر العمالات الجهادية وما يتشعب منها وما يتصل بها \ وفيه خمسة وأربعون بابًا.
٦. الجزء السادس:- في العمالات الجبائية \ وفيه اثنا عشر بابًا.
٧. الجزء السابع:- في العمالات الاختزانية \ وفيه أحد عشر بابًا.
٨. الجزء الثامن:- في سائر العمالات \ وفيه عشرة أبواب.
٩. الجزء التاسع:- في ذكر حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم(منها فيما تقدم من الأجزاء في مواضع هي أليق بها.
١٠. الجزء العاشر:- - وبه كمال التأليف - في ذكر أمور متفرقة مما يرجع إلى معنى الكتاب \ وفيه أربعة أبواب.

ثانياً: النسخ المخطوطة للكتاب

اعتمد الدكتور إحسان عباس في تحقيق كتاب الخزاعي (تخريج الدلالات السمعية) ثلاث نسخ وهي: (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص (١٧-١٣:

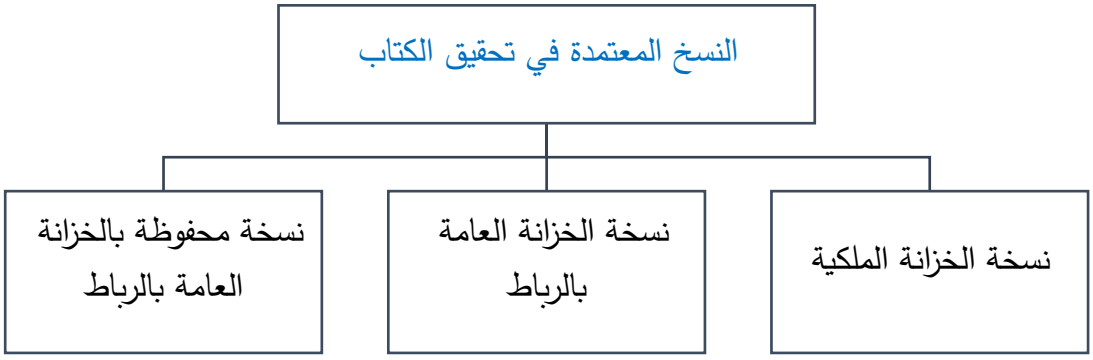

نسخة الخزانة الملكية، رقمها (١٣٩٧) ورمزها (م)، وتقع في ٢٤٠ صفحة، تشتمل على جميع الكتاب، وخطها مغربي دقيق واضح، وهي نسخة حسنة الضبط يقل فيها الخطأ أو السقط، والكتاب كان في سفرين، والسفر الأول ينتهي عند آخر الباب الخامس عشر من الجزء الخامس الخاص بالعمالات الجهادية، ويبدأ السفر الثاني بالباب السادس العشر من الجزء الخامس وعنوانه في (المسرج). وأيضًا فيها خطة إلحاقات وزيادات، وهي على هذا تمثل الكتاب في صورته الكاملة كيفما أراد المؤلف، وكان الفراغ من نسختها عام ٨٧٦ هـ \ ١٤٧٢-١٤٧١م (أي بعد تسعين عامًا من تأليف الكتاب). (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٣)

رقم نسخة الخزانة العامة بالرباط (١٨٢٨D)، ورمزها (ط)، وتقع في قسمين يتضمن الأول ١٦١ ورقة والثاني ١٩١ ورقة، وينتهي الأول عند آخر الباب السابع عشر من الجزء الخامس عشر من الكتاب، والنسخة كاملة لا نقص فيها، وخطها نسخي مشرقي واضح، ولكن الأخطاء من السقط والتصحيف كثيرة، ومن خطها تبدو حديثة النسخ، والصفحة الأولى نقلت عن نسخة قديمة كانت بحوزة رفاعة بك الطهطاوي، واهتم بالكتاب فاختصره في كتابه (نهاية الإيجاز)، والكتاني لم يكن لديه علم عن نسخة رفاعة الطهطاوي إلا بعد أن ألف كتابه (التراتيب الإدارية. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٤)

نسخة محفوظة بالخزانة العامة بالرباط، رقمها (١٢٠٣)، ورمزها (ر)، وعلى الورقة الأولى أنها تمثل السفر السادس من الدلالات السمعية (وتبدأ على الورقة التالية بالجزء الثامن "في سائر العمالات وفيه عشرة أبواب"، فهذه النسخة لا تتضمن إلا الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الكتاب، وهي في الأصل نسخة حبسها أمير المؤمنين محمد بن عبدالله بن

إسماعيل الشريف الحسني عن خزانة جامع الأشراف من الحضرة المراكشية عام ١١٩٤هـ ١٧٨٠م، وكان هذا السفر السادس مكملًا لنسخة كاملة، إذ جاء في آخره (انتهى السفر السادس وتم جميع كتاب الدلالات السمعية)، مما لفت النظر إلى أن هذه النسخة أو النسخ السابقة لم تختم بالدعاء من المؤلف نفسه، إذ جعل ناسخ النسخة (ط) يقول (قد انتهى إلى ها هنا ما وجد). (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٥-١٤)

تضم النسخة (ر) ٣٩٢ صفحة، وكتبت بالخط المغربي الجميل الكبير، محلى بالعطفات والمدات، وهو ما يميز الخط الكوفي، وهي نسخة متقنة بحيث تصبح قراءتها يسيرة. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٥)

المطلب الرابع: آراء العلماء فيه ووفاته

أولاً: آراء العلماء فيه

وصفه تلميذه الإمام الصوفي محدث فاس وراويتها: أبو زكريا يحيى بن أحمد بن محمد السراج الحميري الفارسي، المتوفى بفاس سنة ٨٠٥ هـ \ ١٤٠٢و١٤٠٣م، وقال إنه كان شيخًا جليلًا، فاضلًا، حافظًا، لغويًّا، شاعرًا مجيدًا، مقدمًا في التاريخ، كثير الصدقة والإيثار، ولم يكن في زمانه من يضاهيه فيها، فذا في طريقته. (الكتاني، ٢٠١٧م ، ص٨٧)

ووصفه ابن الأحمر في كتابه بالفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى، لمعرفته بالأدب والحساب واللغة العربية، وبرز في إجادتها الإدراكية العلمية. (الكتاني، ٢٠١٧م ، ص٤١)

وقال عنه ابن الأحمر: أدركته ورأيته، وهو فارس ميدان الحساب، وحامل راية الآداب والأنساب، ورئيس النحويين وعلم اللغويين، وله من الأصول حظ وافر. (نويهض، ١٤٠٠هـ \ ١٩٨٠م، ص١٣٣)

«قال ابن الأحمر: "وقدمه في الكرماء أرسخ من أبي قبيس، وفضله ينسي فضل الأمير دبيس". وقال في موضع آخر: "وكفه بإرسال المواهب لم تكن جانحة إلى التقصير، ولا قيل لطول جودها: جدعت أنف الفضائل عن بخل يا قصير"؛ وأيد هذا تلميذه ابن السراج بقوله: "كثير الصدقة والإيثار، ولم يكن في زمانه من يضاهيه فيها، فذًا في طريقته".»(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ٩)

ثانياً: وفاته

ذكر الكتاني في كتابه أنه روى واستجاز في كبره؛ لأن وفاته قريبة من وفاة شيخيه الخطيب ابن المرزوق الذي قال عنه ابن فرحون في (الديباج): توفي بعد الثمانين وسبعمئة ٧٨٠ هـ \ ١٣٧٩-١٣٧٨م، وفي كتاب (العبر): أنه توفي سنة ٧٨١ هـ \ ١٣٧٩و١٣٨٠م. وأبي البركات ابن الحاج وقد توفي كما في (فهرسة) أبي عبدالله الحضرمي سنة ٧٧١ هـ \ ١٣٦٩و١٣٧٠م. (الكتاني، ٢٠١٧م ، ص٨٥)

توفي علي الخزاعي بعد صلاة العصر، يوم الأحد الموافق الخامس من ذي القعدة سنة ٧٨٩ هـ \ ١٣٨٧و١٣٨٨م، ودفن من غده يوم الاثنين (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص٤٦)، و عاش حتى ناهز من عمره الثمانين عامًا (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ٩) ، توفي ودفن بمدينة فاس. (نويهض، ١٤٠٠هـ \ ١٩٨٠م، ص١٣٣) وفي كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي قيل إنه توفي سنة ٧٨٩ هـ \١٣٨٧و١٣٨٨م.

المطلب الخامس: أهمية كتاب تخريج الدلالات السمعية في دراسة الأوضاع الإدارية في عصر النبوة.

قال رحمه الله: «وبعد: فلما رأيت كثيرًا ممن لم ترسخ في المعارف قدمه، وليس لديه من أدوات الطالب إلا مداده وقلمه، يحسبون من دفع في كثير من تلك الأعمال، في هذا الأوان مبتدعًا لا متبعًا، ومتوغلًا في خطة دينية ليس عاملًا في عمالة سنية، استخرت الله في أن أجمع ما تأدى في علمي من تلك العمالات، في كتاب يوضح نشرها، ويبين للجاهل أمرها، فيعرف الجاهل وينصف المتحامل، فألفت هذا الكتاب، وذكرت في كل عمالة منها من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها، من الصحابة ونسبه وأخباره، ليعلم ذلك فيشكر الله عزّ وجلّ على أن استعمله في عمل شرعي، كان يتولاه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقامه مقامه ويجتهد في إقامة الحق فيه، مما يوجبه الشرع ويقتضيه، فيكون قد أحيا سنة وأحرز حسنة، وإني لأرجو مما تحملته من التعب في جمع هذا التأليف، حتى أتيت بجميع ما تضمنه من الحرف والصنائع والعمالات النبوية والتشريف، بالنسبة الشرعية، والتنزيه عن الظنة السيئة الدعية، اقتناءً للأجر الجليل عند الله تعالى، بفضله ورحمته في الأخرى، واجتناء الشكر الجميل، وبقاء للأجر الطويل، من أربابها في الدنيا إن شاء الله تعالى).» (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص٤٨)

وفي نهاية هذا الفصل تناولت عددا من المعلومات التي تخص الخزاعي بداية بإسمه وهو علي بن محمد بن أحمد بن موسى بن سعود الخزاعي، و يعد تلمساني المولد،فارسي الوفاة، ولقد برز في الأدب واللغة والنحو، وأيضًا ألم بالفقه والحديث والشعر، ولقد درس على يد شيخين وهما: أبو عبدالله بن مرزوق ومحمد بن أبي بكر البلفيقي الشهير بابن الحجاج، ومن أهم مؤلفاته التي استندت إليها في كتابة البحث كتاب تخريج الدلالات السمعية، قسم الخزاعي كتابه إلى عشرة أجزاء وثمانية في العمالات وواحد في الحرف والصناعات وباب ختامي، و قسم الأجزاء العشرة في ١٧٨ بابًا، وأيضًا لقد أثنى عليه عدد من العلماء مثل: ابن الأحمر، والسبب الذي جعل الخزاعي يبدأ في كتابة هذا الكتاب هو أنه يوضح العمالات الشرعية للناس وإنها ليست بدعة، بل أنها كانت نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وذلك؛ لكي لا يقع الكثير في الخطأ وتكون مرجعا موثوقا وصادقا للجميع.

المبحث الثاني: الوظائف الإدارية المساندة:

المطلب الأول: صاحب السر

"حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه: كان صاحب سرّ رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)؛ لقربه منه وثقته به وعلوّ منزلته عنده".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٦١)

"روى النسائي (رحمه الله تعالى) عن علقمة قال: قدمتُ الشام فدخلت مسجد دمشق، فصلّيت ركعتين ثم قلت: اللهم ارزقني جليسًا صالحًا، فجلست إلى أبي الدرداء، فقال لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل العراق، فقال: كيف كان يقرأ عبد الله: (واللّيل إذا يغشى . والنّهار إذا تجلّى . والذكر والأنثى) قلت: هكذا كان يقرؤها عبد الله، فقال أبو الدرداء: هكذا سمعتها من رسول الله صلّى الله عليه وسلم. ثم قال: فيكم الذي أجير من الشيطان وفيكم الذي يعلم السرّ لا يعلمه غيره، يعني حذيفة".) سنن النسائي الكبرى (٨٢٩٩)

حذيفة بن اليمان هو صاحب السر للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وسبب هذه التسمية هي قصته عند ذهاب علقمة للشام ولقائه في دمشق بأبي الدرداء.) الكتاني، ٢٠٠١م ، ص١٠٢)، وقد ورد أيضًا أن "حذيفة هو صاحب سر رسول الله في المنافقين، ولم يعلمهم أحد إلا حذيفة، أعلمه بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسأله عمر: أفي عمالي أحد من المنافقين؟ قال: نعم، واحد، قال: من هو؟ قال لا أذكره. قال حذيفة: فعزله فكأنما دل عليه".(الكتاني، ٢٠٠١م ، ص١٠٣)

و ورد في كتاب عبد الشافي محمد عبد اللطيف المعلومات نفسها التي وردت سابقًا وهي أن حذيفة بن اليمان هو صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وسبب التسمية هي قصة ذهاب علقمة للشام ولقائه في دمشق بأبي الدرداء، وسؤال أبي الدرداء: هل بينكم صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ (عبد اللطيف، ١٩٩٦م ، ص١٨٤)

وبناء على جميع النصوص التي ذكرت نلاحظ أن صاحب السر هو حذيفة بن اليمان، وسبب تسميته بصاحب السر هو ذهاب علقمة إلى الشام ولقاؤه بأبي الدرداء، وقد سأل أبو الدرداء أليس فيكم صاحب سر رسول الله لا يعرفه غيره، فقيل: حذيفة صاحب سر رسول الله في المنافقين، ولم يعلمهم أحد إلا حذيفة أعلمه بهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

خلاصة:

وبهذا نلاحظ أن حذيفة بن اليمان هو صاحب سر الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وكان يعد بمثابة مدير الاستخبارات للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وهو الشخص الوحيد الذي لديه معرفة بمن هو خطر على الأمن الداخلي للدولة، والذين يظهرون ولاءهم للدولة ويخفون الحقد والخيانة، ويُقصد بهم المنافقون.

المطلب الثاني: الآذن والحاجب والبواب

أولاً: مفهوم الآذن والحاجب والبواب

في كتاب الخزاعي ذكر معنى الحاجب، فـ"حجبه" أي منعه من الدخول، وحاجب الأمير جمعها حجاب، واستحجبه يقصد بها ولاه الحجابة، واحتجب الملك عن الناس، وملك محجب. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٤). أما الآذن فهو مِن أَذِنَ، وأذن له في الشيء إذنًا أي أباحه له، واستأذنه: طلب منه الإذن، وأذن له عليه أي أخذ منه الإذن، وايذن لي على الأمير، والآذن يقصد به الحاجب. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٤)

ومن هذه المفاهيم نلاحظ أن الآذن والحاجب والبواب كلها تحمل المعنى نفسه والمهمة نفسها التي يقومون بها.

مفهوم الحجابة:

يقصد بها حجب الشيء أي: ستره وحجبه أي: منعه من الدخول، والحاجب: البواب صفة غالبة، وجمعه حجبة، والحجابة: يقصد بها حجابة الكعبة وهي سدانتها وتولي حفظها، وأصحابها هم الذين بأيديهم مفاتيحها، وحجب الأمير يقصد بها الحجابة، وهي ولاية الحاجب. (الجبوري، ٢٠١٣م ، ص٨٣)

وأشار ابن خلدون إلى أن لقب الحجابة كان مخصوصًا في الدولة الأموية والعباسية بالذين كانوا يحجبون السلطان عن العامة، ويقومون بفتح بابه أو إغلاقه على قدره وفي مواقيته. وبهذا يعد الحاجب من كبار الموظفين في الدولة، فهو همزة الوصل بين الخليفة والناس، فهو يقدم السفراء، ويأذن لمن يريد الدخول على الخليفة أو يقوم بمنعه، حتى لا يحدث ازدحام للناس في حضرة الخليفة، وللحاجب الصلاحية في أن يبت في القضايا التي لا تستدعي نظر الخليفة. (الجبوري، ٢٠١٣م ، ص ٨٣)

"روى مسلم رحمه الله تعالى عن جابر بن عبد الله قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلّى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسًا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، وساق الحديث".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م، ص٦٣)، (الحديث في مسلم برقم (١٤٧٨))

في هذا النص يستأذن أبو بكر (رضي الله عنه) في الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، و كان الناس يجلسون على بابه، ولا يؤذن لأحد بالدخول، فأذن بالدخول لأبي بكر، ثم جاء عمر واستأذن فأذن له بالدخول. وفي الحديث أنه كان لرسول الله(صلى الله عليه وسلم) حُجَّاب يقفون على بابه لكي يأذنوا للناس بالدخول عليه، وهذا أمر طبيعي؛ لأن الذين يريدون مقابلة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كثيرون؛ فلا بد من تنظيم الدخول عليه.

"وفي كتاب «أنباء الأنبياء» للقضاعي: آذِنُه (عليه السلام) أنس بن مالك".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٣) ففي هذا النص أن أنس بن مالك كان آذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

"قال القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب «الأحكام»: وقد كان أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه يستأذن على رسول الله صلّى الله عليه وسلم فيعمل على قوله ... وفي ذلك دليل أنه يجوز من الصغير"(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٣)

وفي هذا النص أن أنس بن مالك تولى مهنة الآذن للرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأيضًا هنا إشارة إلى جواز إعطاء هذه المهنة لصغير السن.

"وفي كتاب «أخلاق النبي صلّى الله عليه وسلم» لابن حيان عن عمر أن النبي صلّى الله عليه وسلم صعد مشربة، وعلى الباب وصيف له، فقلت له: استأذن لي على رسول الله صلّى الله عليه وسلم، فاستأذن لي، فإذا رسول الله صلّى الله عليه وسلم على حصير قد أثّر في جنبه، وإذا تحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٣) ، (الحديث في البخاري (٥٨٤٣) ومسلم (١٤٧٩))

وفي هذا النص نلاحظ وجوب الاستئذان عند الدخول على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهذا يعد من الآداب وهو عدم الدخول من دون السماح بالدخول.

"وخرجه البخاري رحمه الله تعالى في «صحيحه» مطولًا في كتاب النكاح، وفيه: فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٤)

في هذا النص نلاحظ أن الشخص الذي كان يقف على باب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غلام لونه أسود، فطلب منه عمر الاستئذان للدخول.

"وفي «مختصر السيرة» لابن جماعة (رحمه الله): وأذن عليه –صلى الله عليه وسلم– رباح الأسود وأنسة مولياه".)(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٤)

وفي هذا النص نلاحظ أن رباح الأسود[١] وأنسة مولياه [٢]كانا آذنين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والمقصود رباح الأسود، وأنسة هو أبو مسروح.

بناء على جميع النصوص لوحظ أن هذه المهنة يقصد بها من كان يأذن أو يسمح للناس بالدخول على الخليفة أو يقوم بحجبهم عن الخليفة، ونلاحظ وجود ثلاثة آذنين في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم أنس بن مالك (رضي الله عنه)، وأنسة مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورباح مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

[١] رباح مولى رسول الله (ﷺ): هو رباح، وكان أسودا، وكان في بعض الأحيان يقوم بمهنة الآذن للرسول(ﷺ). (الخزاعي، ١٤٠٥ه \١٩٨٥م ، ص ٦٥).

[٢] أنسة مولى رسول الله (ﷺ): يكنى بأبي مسرح، ويقال أبو مسروح، وذكر أنه شهد بدرًا، وكان من مولدي السراة، وكان يأذن على رسول الله (ﷺ). (الخزاعي، ١٤٠٥ه \١٩٨٥م ، ص ٦٤).

وقد كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) حجاب يقفون على بابه ليأذنوا للناس بالدخول عليه وهم: أنس بن مالك، ورباح الأسود، وأنسة ،وعبدالله بن زغب الإيادي. (عبد اللطيف، ١٩٩٦م، ص ١٨٦) وجميعهم ذُكِروا في كتاب الخزاعي وذُكروا في النصوص ما عدا عبدالله بن زغب الإيادي.

و"روى البخاريّ رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: مرّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري»؛ قالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي–ولم تعرفه– فقيل لها: إنه النبي صلّى الله عليه وسلم، فأتت باب النبي صلّى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك: فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى».(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \١٩٨٥م ، ص ٦٦-٦٥)

نرى في هذا النص أن النبي (صلى الله عليه وسلم) وجد امرأة تبكي عند قبر، فقال لها: «اتقي الله واصبري» فردت عليه: إليك عني فإنك لم تصب بما أصبت، ولم تكن تعرف أنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقيل لها إنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فذهبت إلى باب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلم تجد بوابًا يقف على بابه، فقالت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لم أكن أعرفك، فقال لها: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»، وهذا دليل على وجوب الصبر عند حلول المصيبة.

ثانياً: بداية ظهور الحجابة

لم يتخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حجابًا له سواء في مكة أو المدينة، فلقد كان يقوم باستقبال وفوده في مسجده في المدينة أو يستقبلهم في حجراته، ورسول الله (صلى الله عليه وسل)م لم يضع حراسًا لكي يقوموا بحراسته، وإنما الصحابة من خوفهم عليه كان يقومون بحراسته من تلقاء أنفسهم (الجبوري، ٢٠١٣م، ص ٨٤(، وقد ورد في القرآن الكريم آيات تحث على التأدب عند مخاطبة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومنها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ٢{[الحجرات: ٢]، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ٤}[الحجرات: ٤].

والرسول (صلى الله عليه وسلم) كانت عليه هيبة النبوة، فما كان يستطيع أحد أن يقربه بأذى، فقد كان أبو جهل يريد أذيته في مكة فلم يستطع، وأيضًا سراقة بن مالك كان يلاحقه في أثناء الهجرة فلم يتمكن، وقد سار على نهجه الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) فلم يكن لهم حجاب، وكانوا يجتمعون مع الناس في المسجد، ويمشون في الطرقات ليلًا ونهارًا لكي يتفقدوا أحوال الرعية. والخلفاء الراشدون عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ،وعلي بن

أبـي طالـب (رضـي الله عـنهم) تعرضـوا لمـؤامرات اغتيـال، وذهبـوا جمـيعهم ضـحية تلـك المؤامرات. (الجبوري، ٢٠١٣م، ص ٨٤).

ثالثاً: دور الحاجب ،وما الشروط الواجب توافرها فيه؟

الحاجب لـه دور كبير لا يمكن إغفالـه فـي القضـاء؛ إذ يقوم بحجب دخول النـاس من غير ذوي العلاقة علـى القاضـي أو من يرافقهم من وكـلاء أو شـهود. (اللهيبـي، ١٤٣٥هـ ، ص١٢٥)

الشروط الواجب توافرها في الحاجب (اللهيبي، ١٤٣٥هـ ، ص١٢٥):

على القاضي عند اختيار الحاجب الالتزام بشروط عدة هي:

١. أن لا يتجهم للخصوم .
٢. عدم التحيز لبعض الناس من دون بعض.
٣. أن يكـون لديـه علـم بالأوقـات التـي يجـوز فيهـا أن يـأذن لمـن يقصـد القاضـي بالحضور.
٤. أن يكون عارفًا بمن يأتي خصمًا أو زائرًا أو سائلًا أو مستفتيًا في الحكم والشرع.
٥. لا بد للحاجب أن يدخل على القاضي قبل الجميع؛ حتى يعرف من حضر على بابه من الناس، ثم يقوم بالإذن لمن يريد الدخول عليه.

والمعهود أن الخلفاء يشددون عند اختيارهم الحاجب، وذكرت شروط أخرى على القاضي أن يلتزم بها، وهي (اللهيبي، ١٤٣٥هـ ، ص١٢٥) :

١. أن يتخذ حاجبًا نقي الجيب.
٢. مأمون المشهد والغيب.
٣. أن يكون مستشعرًا للتقوى في السر والنجوى.
٤. أن يكون سالكًا للطريقة المثلى وغير متجهم للناس.
٥. أن لا يتعمد ما ينافي بسط الوجه والإيناس.

وبعض الفقهـاء رأوا أن يكـون اختيـار الحاجـب فـي زمـن لا يعـرف النـاس فيـه أصـول القضاء والتعامل مع القاضي، فبعضهم يقول في زمن الاختلاط والتهارج واستطالة السفهاء، فالمستحب أن يتخذ حاجبًا يحفظ هيبته، وأن يمنع استطالة الخصوم. (اللهيبي، ١٤٣٥هـ ، ص١٢٥).

المطلب الثالث: الكُتّاب

كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) جهاز كبير من الكتاب، وصل عددهم إلى أكثر من أربعين كاتبًا. (عبد اللطيف، ١٩٩٦م ، ص ١٨٩) وقيل أيضًا: على الرغم من قلة عددهم إلا أنه بلغ عددهم ثلاثة وأربعين. (اللهيبي، ٢٠٠٧م، ص ٨٣) أما في كتاب الكتاني فورد عددهم بأرقام مختلفة، فقال ابن عساكر مثلًا في تاريخ دمشق: وصل عددهم إلى ثلاثة وعشرين، وفي بهجة المحافل أوصلهم إلى خمسة وعشرين، أما القرطبي فأوصلهم إلى ستة وعشرين كاتبًا، وفي كتاب الشبراملسي أوصلهم إلى أربعين، والعراقي أوصلهم في كتابه إلى اثنين وأربعين، وقال الهوريني في المطالع النصرية: ولكن لم يكن كل هؤلاء كتَّابَ وحي؛ وإنما أكثرهم تداول على ذلك بعد الهجرة، ويعد زيد بن ثابت هو من الكتاب المواظبين على الرسائل والأجوبة، وكان أيضًا كاتب وحي. وكان من شروط صاحب الكتاب أن يكون أمينًا عاقلًا، وقد ذكرت قصة زيد بن ثابت مع أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) في قصة جمع القرآن، فقد قال أبو بكر (رضي الله عنه): (إنك رجل عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن واجمعه). (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص١٩٣-١٩١)، ومن مقولة أبي بكر (رضي الله عنه) نستنتج أنه لو لم يكن زيد بن ثابت أمينًا لم يجعله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كاتبًا للوحي.

أولاً: كتاب الوحي

"قال القاضي محمد بن سلامة القضاعي رحمه الله تعالى في كتابه «في أنباء الأنبياء عليهم السلام وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والأمراء»: كان عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما يكتبان الوحي، فإن غابا كتب أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله تعالى عنهما".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٧١)

نلاحظ في هذا النص أن هناك عددًا من الصحابة كانوا من كتاب الوحي، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، وفي حال غيابهم ينوب عنهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وهنا نجد الإنابة للكتاب في حال غياب أحد منهم.

"وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: لما نزلت آية: }لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ { [النساء: ٩٥]، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): ادع لي زيدًا، وليجئ باللوح والدواة والكتف، أو الكتف والدواة، ثم قال اكتب :{لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ."{) اللهيبي، ٢٠٠٧م ، ص ٨٤) ، (الحديث في البخاري برقم (٤٩٩٠)، وفي مسلم برقم (١٨٩٨) من خلال هذا النص نلاحظ أن زيد بن ثابت كان من كتاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وقال أبو عمر ابن عبد البر (رحمه الله تعالى) في «الاستيعاب»: كان أبي بن كعب ممن كتب لرسول الله (صلّى الله عليه وسلم) الوحي قبل زيد بن ثابت ومعه أيضًا، وكان زيد ألزم الصحابة لكتاب الوحي، وكان أبي وزيد يكتبان الوحي بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وسلم. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٧١)

نجد في هذا النص أن أبي بن كعب هو أول من كتب الوحي للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم زيد بن ثابت، وكان ألزم الصحابة لكتابة الوحي، ونلاحظ أن هذين الاثنين كانا يكتبان الوحي بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

"وقال القاضي محمد بن سلامة: فإن لم يحضر أحد من هؤلاء الأربعة كتب من حضر من الكتاب وهم: معاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرميّ، وحنظلة بن الربيع".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٧١)

ويتضح في هذا النص أنه في حال عدم حضور الكتاب الأربعة كان يحضر بدلهم معاوية بن أبي سفيان، وخالد بن سعيد بن العاص، وأبان بن سعيد، والعلاء بن الحضرمي، وحنظلة بن الربيع. وهنا نلاحظ أن هناك عددًا من كتاب الوحي في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وروى البخاري عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أنه قال: "لما نسخنا الصحف في المصاحف، فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين من المؤمنين. (صحيح البخاري (٢٨٠٧)، "وأيضًا يعد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما من كتاب الوحي") اللهيبي، ٢٠٠٧م، ص ٨٤)

فزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) كانا من كتاب الوحي.

"وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب الوحي أيضًا، فارتدّ عن الإسلام ولحق بالمشركين، فلما فتحت مكة استأمن له عثمان بن عفان– وكان أخاه من الرضاعة– فأمّنه رسول الله صلّى الله عليه وسلم وحسن إسلامه. وولاه عمر مصر ثم أقرّه عثمان عليها، وخرج عنها حين تأمّر عليها محمد بن أبي حذيفة، ومات بعسقلان؛ فهؤلاء كتاب الوحي. انتهى ما قاله القضاعيّ. (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٧٢)

وفي هذا النص نلاحظ أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان من كتاب الوحي، وإنه ارتد عن الإسلام ولحق بالمشركين، وعندما فتحت مكة استأمن له عثمان بن عفان فأمنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحسن إسلامه.

ومن جميع النصوص نلخص من كانوا كتابًا للوحي، وهم:

عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، أبي بن كعب (رضي الله عنه)، زيد بن ثابت (رضي الله عنه)، معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)، خالد بن سعيد بن العاص، أبان بن سعيد، العلاء بن الحضرمي (رضي الله عنه)، حنظلة بن الربيع ، عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

ثانياً: كتاب الرسائل والإقطاع

"في «الاستيعاب» عن الواقدي عن أشياخه قال: أول من كتب لرسول الله (صلّى الله عليه وسلم) مقدمه المدينة، أبي بن كعب، وهو أول من كتب في آخر الكتاب: «وكتب فلان». وكان أبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) زيد بن ثابت فكتب، وكان أبيّ وزيد بن ثابت يكتبان الوحي بين يديه (صلّى الله عليه وسلم) ويكتبان كتبه إلى الناس، وما يقطع، وغير ذلك".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٨١)

بناء على هذا النص نرى أن أبي بن كعب يعد أول من كتب للرسول (صلى الله عليه وسلم) عند قدومه للمدينة، وهو أيضًا أول من كتب في آخر الكتاب من الكاتب (أي كتب فلان)، وفي حال عدم حضور أبيّ كان يكتب زيد بن ثابت، ولقد كانا يكتبان بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)ويقومان بكتابة كتبه للناس.

"قال أبو عمر: وكان من المواظبين على كتاب الرسائل: عبد الله بن الأرقم الزهري".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٨١) فعبد الله بن الأرقم يعد من المواظبين على كتابة الرسائل.

"وذكر عن ابن إسحاق: كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، ويكتب إلى الملوك أيضًا، وكان إذا غاب عبد الله بن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك أو إلى إنسان بقطيعة، أمر من حضر أن يكتب له".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٨١)

ففي هذا النص يتبين أن زيد بن ثابت كان يكتب إلى الملوك، وفي حال غياب عبدالله بن الأرقم وزيد بن ثابت، واحتياج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يرسل كتبًا إلى بعض أمراء الأجناد أو إلى شخص معين، كان يحضر أحدًا غيرهما ليكتب الكتاب. وطلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عبدالله بن الأرقم أن يقوم بالإجابة عنه إلى الملوك، وكان يأمره أن يكتب لبعض الملوك فيكتب ويطبعه وما يقرؤه لأمانته عنده. (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص١٩٥).

وورد أيضًا عن مالك بن زيد بن أسلم عن أبيه قال عمر: كُتب إلى رسول الله كتاب فقال لعبد الله بن الأرقم الزهري: أجب هؤلاء عني، فأجابهم، ثم جاء به فعرضه عليه (عليه السلام) فقال: أصبتَ بما كتبت. قال عمر: فما زالت في نفسي حتى جعلته على بيت المال. وورد أيضًا أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أجاز لعبدالله بن الأرقم –وكان ولاه على بيت المال– بثلاثين ألفًا فأبى أن يقبلها. (الكتاني، ٢٠٠١م ، ص١٩٦)

من جميع النصوص نستنتج من كان يكتب الرسائل والإقطاع هم: أبي بن كعب (رضي الله عنه) ، زيد بن ثابت(رضي الله عنه) ، عبد الله بن الأرقم الزهري.

ثالثاً: كتاب الصلح والعهود

هم الذين يتولون مهمة كتابة عقود الصلح ،والأمان ،والمواثيق التي تبرم مع الأعداء والمشركين.) اللهيبي، ٢٠٠٧م ، ص ٨٥)، "قال أبو عمر ابن عبد البر: كان الكاتب لعهوده (صلّى الله عليه وسلم) إذا عهد، وصلحه إذا صالح، عليّ بن أبي طالب".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص١٨٥)

نلاحظ في هذا النص أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يعد من كتاب الصلح والعهود، ومن ذلك صلح الحديبية. وروى البخاري عن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قوله: "لما صالح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أهل الحديبية كتب علي بن أبي طالب بينهم كتابًا".) اللهيبي، ٢٠٠٧م ، ص ٨٥)

"وخرّج البخاري: أن النبيّ (صلّى الله عليه وسلم) لما أراد أن يعتمر أرسل إلى أهل مكة يستأذنهم ليدخل مكة، فاشترطوا عليه ألا يقيم بها إلا ثلاث ليال، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح، ولا يدعو منهم أحدًا، فأخذ يكتب الشرط بينهم عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله لم نمنعك ولبايعناك، ولكن اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، قال: أنا والله محمّد بن عبد الله، وأنا والله رسول الله، قال: وكان لا يكتب، فقال لعلي: امح رسول الله، فقال عليّ: والله لا أمحاه أبدًا، قال فأرنيه؟ قال: فأراه، فمحاه النبي صلّى الله عليه وسلم بيده". (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ١٨٥)

نرى مما تقدم أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هو كاتب صلح الحديبية، ونلاحظ ما دار بينهم من حوار عند كتابة هذا الصلح، ولقد ذُكِر ما دار في صلح الحديبية سابقًا. "وخرّج البخاري أيضًا حديث هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلم واتباع سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي النبيّ صلّى الله عليه وسلم وأبا بكر، ومولاه عامر بن فهيرة، ودليلهم الديلميّ، ليردّهم على قريش للجعل الذي جعلوا فيهم، وفيه أن سراقة قال: ركبت فرسي فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فقمت فأهويت بيدي

إلى كنانتي، واستخرجت منها الأزلام، فاستقسمت بها: أضرّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره: فركبت فرسي–وعصيت الأزلام– تقرّب بي، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلّى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسي حتى جئتهم، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، فقلت له: إنّ قومك قد جعلوا فيك الدّية، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني، إلا أن قالا: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم، ثم مضى رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)". (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص١٨٦–١٨٥)

في هذا النص نلاحظ أن عامر بن فهيرة هو الذي كتب أمان النبي (صلى الله عليه وسلم) لسراقة بن جعشم، ويعد من كتاب الصلح والعهود.

"وقال محمد بن إسحاق: حدثني الزهريّ أن عبد الرّحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمّه سراقة حديثه حين اتبع رسول الله (صلّى الله عليه وسلم)، فقال فيه: فعرفت حين رأيت ذلك –يعني ما ظهر له في فرسه– أنه قد منع مني، وأنه ظاهر، قال: فناديت القوم: أنا سراقة بن جعشم انظروني أكلمكم، فوالله لا أريبكم، ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. قال: فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم لأبي بكر: قل له: ما تبتغي منا؟ فقال لي ذلك أبو بكر، فقلت: اكتب لي كتابًا يكون بيني وبينك آية، قال: اكتب له يا أبا بكر، قال: فكتب لي كتابًا في عظم، أو في رقعة أو في خزفة، ثم ألقاه إليّ فأخذته، فجعلته في كنانتي ثم رجعت، وهذا خلاف ما رواه البخاري عن الزهري أيضًا من أن عامر بن فهيرة هو الذي كتب الكتاب، فالله أعلم أي ذلك كان". (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ١٨٦)

وفي هذا النص نلاحظ أن أبا بكر (رضي الله عنه) يعد من كتاب الصلح والعهود.

فكان لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) كُتَّابٌ في المعاهدة والصلح، فكان كاتبه إذا صالح عليَّ بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وكان كاتبه في قصة الهجرة عامر بن فهيرة، كتب عهدًا في رقعة من أدم لسراقة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكتب له أيضًا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). (الكتاني، ٢٠٠١م، ص١٩٧). في هذه النصوص نستنتج أن كتاب الصلح والعهود هم: علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، عامر بن فهيرة ، أبو بكر (رضي الله عنه).

المطلب الرابع: والي السوق

"روى البخاري (رحمه الله تعالى) عن نافع عن ابن عمر (رضي الله تعالى عنهما) أنهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد النبي (صلّى الله عليه وسلم)، فبعث إليهم من يمنعهم أن يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام". (الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م، ص ٣٠٧). ففي هذا النص أنهم كانوا يبيعون الطعام في أي مكان، فأرسل لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يمنعهم ليذهبوا إلى المكان المخصص للبيع وهو السوق ويمارسوا التجارة هناك. "وروى أيضًا عن سالم عن أبيه: رأيت الذين يشترون الطعام مجازفة يضربون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلم أن يبيعوه حتى يؤووه إلى رحالهم".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ٣٠٧). لوحظ فيما تقدم أنه لا يجوز القيام بعملية البيع والشراء من دون كيل ولا وزن، فلا بد من شراء بوزن وكيل حتى لا يحدث غش.

"وقال أبو عمر ابن عبد البر: استعمل رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بعد الفتح على سوق مكة".(الخزاعي، ١٤٠٥هـ \ ١٩٨٥م ، ص ٣٠٧)

نلاحظ في هذا النص أنه كان هناك أشخاص يعينون في المكان الذي يراد ألا يحدث فيه غش ولا تدليس، فكانوا يقومون بمهام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما يكون مشغولًا في أمر ما ولا يستطيع أن يقوم بكل المهام في وقت واحد. ومن أهم الأمور التي قام بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مراقبة الأسواق، وكان يقوم بهذه المهمة بنفسه أحيانًا، وكان يقوم بالإشراف على حركة البيع والشراء، وكل ما يخص الأمور التجارية، لكي يضمن سلامة المعاملات، ويحصل كل شخص على ما يحتاجه من دون أن يتعرض لسرقة أو غش. (عبد اللطيف، ١٩٩٦م ، ص١٨٧).

وقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتولية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على سوق المدينة، وبعد فتح مكة سنة ٨ هـ، قام بتولية سعد بن العاص أسواق مكة. (عبد اللطيف، ١٩٩٦م ، ص ١٨٨-١٨٧) وهذا يدل على أنه كانت هناك ولايات نوعية ومخصصة لجهة محددة يتولاها آخرون.

ومن النصوص التي تدل على أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان يقوم بمراقبة الأسواق بنفسه: ما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه): (أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مر على صُبْرة -أي قمح- فأدخل يده فيها فنالها بلل، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» فقال: أصابته السماء يا رسول الله -أي أصابه المطر- قال: «أفلا جعلتَه فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس منا». (عبد اللطيف، ١٩٩٦م ، ص ١٨٧) في هذا النص نلاحظ أنه في أثناء جولاته التفقدية للسوق شاهد أحد الظواهر السيئة التي كان فيها شيء من الغش، فنبه على هذا الأمر وأن لا يغش في بيعه.

تعد الحسبة وظيفة دينية –مدنية استمدت أساسها من المبدأ الإسلامي وهو: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فلقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يأمر بأن تكون المعاملة على أساس النصح والتقوى. (فوزي ، ٢٠١٠م ، ص٣١٢-٣١١). كانت المدينة الإسلامية مركزًا للحياة، وكان السوق هو بؤرة النشاط الاقتصادي، وهو محل نشاط أهل الحرف والصنائع والأصناف. (فوزي ، ٢٠١٠م ، ص٣١٢)

والمحتسب يتفقد أحوال السوق، ليقوم بمهام عدة وهي: التأكد من صحة المقاييس والمكاييل والأوزان؛ ليمنع الغش في الصناعة والبخس في الكيل ليتأكد من حفظ الآداب، ويمنع التزييف في النقود. (فوزي ، ٢٠١٠م ، ص٣١٣) من ولي السوق في زمن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ استعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعض الصحابة ليراقبوا الأسواق، فقد استعمل سعيد بن العاص على سوق مكة، وعثمان بن أبي العاص على سوق الطائف، وخالد بن سعيد بن العاص على سوق عرينة. (الجبوري، ٢٠١٣م، ص ١٠١)

والحسبة نشأت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فكان يمارسها بنفسه، وأحيانًا يقوم بتفويضها لغيره، ويقصد بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (العيساوي، ٢٠١٨م، ص٦٤). كانت الأسواق هي المعين والمحرك للنشاط الاقتصادي، إذ كانت على أشدها في عصر الرسالة، وذلك لعوامل عدة، أهمها: إن المنطقة قامت فيها الدولة الإسلامية، وامتازت بحرفة التجارة من قبل الإسلام. (اللهيبي، ٢٠١٤م، ص٢٢١)

وكانت العملة المتداولة في الأسواق هي الدرهم الساساني و الدينار البيزنطي، وتعد هاتان العملتان عملتين أساسيتين، فضلا عن الدرهم الحميري المضروب باليمن. (اللهيبي، ٢٠١٤م ، ص٢٢٢). "ويعد السوق من أبرز معالم المدينة المنورة، حيث يشكل إلى جانب المسجد النبوي أبرز معلمين في المدينة في عصر الرسالة، فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قوله: (إن نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء بالمدينة عند السوق، والمسجد فيما ثمة – دعا بقدح فيه ماء...)". (صحيح مسلم (٢٢٧٩)). "ولقد روي حديث في كراهية السوق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى أسواقها» (صحيح مسلم (٦٧١)) لأنها محل الغش والخداع والربا والأيمان الكاذبة.

وكان الدرهم من الفضة، وكان العرب يستعملونه قبل الإسلام، كما تم استعماله في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، والدرهم الفارسي المضروب في الدولة الساسانية كان هو السائد في التعامل، وهو قطعة من الفضة، يوجد فيها نقش يمثل الملك الساساني المضروب في عهده، وعند المسلمين أطلقوا عليه (الطبرية) أي درهم طبرستان العتيقة،

وهناك أسلوب المقايضة وهو أسلوب كان متداولًا في جميع العصور، وهو استبدال سلعة بسلعة من دون الحاجة إلى استعمال النقود. (العمري، ١٤٢٦هـ \ ٢٠٠٥م ، ص ٩٢).

نشأة الأسواق:

أراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن يكون للمسلمين سوق خاص بهم، يتعاملون فيه على وفق المنهج الإسلامي وقواعد البيع والشراء الصحيحة، ومن الأمور التي جعلت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينشئ لهم سوقًا خاصًا بهم هو أن أكثر المهاجرين من أهل مكة يعملون في التجارة، وكانت هي مصدر رزقهم ، فمنهم كبار الصحابة ومنهم الخلفاء (أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وطلحة وعبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه). و ورد نص عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: (ألهاني الصفق بالأسواق، يعني الخروج إلى التجارة)، وورد عن أبي هريرة (رضي الله عنه): (إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم)، وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) سأل عن السوق عندما آخى النبي (صلى الله عليه وسلم) بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبد الرحمن (رضي الله عنه): (دلني على السوق)، فالأسواق كانت مشهورة عند العرب بشكل عام، وعند قريش بالأخص وهذا بسبب رحلتي الشتاء والصيف. (حسن، ٢٠٠٩-٢٠٠٨م، ص٩٢)

الأسباب التي جعلت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يخصص سوقًا خاصة بالمسلمين(حسن، ٢٠٠٩-٢٠٠٨م ، ص ٩٣-٩٢):

١. ليميز أسواق الجاهلية عن أسواق المسلمين، حيث يسود أسواق الجاهلية المعاملات الفاسدة وغير الصحيحة في البيع والشراء، وأيضًا الغش والخداع وغش النقود وغيرها من الأمور التي حرمها الإسلام، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يرفع الحرج في التعامل في الأسواق ،وأن يبعدهم عن الأجواء المشحونة.
٢. ولكسر الاحتكار اليهودي للأسواق، حيث تقوم اليهود بتسليط اليهود وبعض أصحاب النفوذ من العرب عليها، فأراد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أن يجعل للمسلمين سوقًا خاصة بهم في تعاملاتهم التجارية الخاصة، وقد ورد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما أراد أن يجعل للمدينة سوقًا سار إلى سوق بني قينقاع فلم يجده مناسبًا للمسلمين، وبعدها جاء إلى سوق المدينة فضرب برجله فقال: هذا سوقكم، فوجده هو المكان الأنسب لهم.
٣. وليكون سوق المسلمين وقفًا للجميع، ولا يتحكم فيه أحد، ولا يمنع منه أحد، وقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهم: «إن هذا سوقكم فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه

خراج»، وأيضًا ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار إلى سوق النبط فلم يره مناسبًا للمسلمين، فعاد لسوق المدينة، وأقر لهم ذلك السوق وهو سوق المدينة.

٤. وأيضًا لكي يطبق فيه النظم الرقابية والقواعد والأحكام الشرعية التي تنظم البيع والشراء بين الناس.

٥. وليكون سوق المسلمين بيئة صالحة لهم لفرض شرائع البيع والشراء وأخلاق التعاملات التجارية وآداب السوق لهم.

الرقابة على الأسواق:

جعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) السوق مثل المساجد، لا يتملكها أحد، فيأتي التاجر ويضع بضاعته حيث شاء، وتكون الملكية متحركة وليس لأحد الأحقية في أن يحتكر المكان فيها، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتفقد السوق بين الحين والآخر، وفي إحدى المرات وجد خيمة وكانت هذه الخيمة لرجل من بني حارثة، إذ كان يبيع فيها تمرًا، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأن تحرق الخيمة؛ لأن المكان في السوق مثل المكان في المسجد، ليس لأحد الأحقية في بناء أو تملك شخصي. وثمة روايات تدل على كيفية رقابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الأسواق، وكان الهدف منها عدم الغش في التجارة، إذ ورد أنه مر على صبرة طعام فقام بإدخال يده فيها فتبللت أصابعه، فقام بسؤاله: «ما هذا؟» فأجابه بأنه أصابته السماء، فقال: «ألا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟» وذكر أن الذي يغش ليس منا. وفي رواية: أنه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كانوا يشترون الطعام من الركبان، فبعث عليهم من يقوم بمنعهم من بيعه حيث اشتروه حتى يقوموا بنقل الطعام حيث يباع الطعام. وورد أيضًا أن الذين كانوا يقومون بالشراء مجازفة في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان عقابهم الضرب، والمجازفة هي أن يبيع الشيء دون وزن ولا كيل، وهذا لا يجوز. وفي رواية عن فضالة بن عبيد أنهم كانوا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في يوم خيبر، وكانوا يبايعون اليهود الوقية الذهب بدينارين وثلاثة، فأمرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعدم بيع الذهب بالذهب إلا بوزن. وأيضًا عن قيس بن أبي غرزة: أنهم كانوا في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يُسَمون السماسرة، فلما مر بهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أسماهم بإسم (هو أحسن منه)، وقال لهم: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ اللَّغْوُ وَالْحَلْفُ فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ».(حسن، ٢٠٠٩-٢٠٠٨، ص(٩٤-٩٣، (الحديث أخرجه أبو داود (٣٣٢٦)، والترمذي (١٢٠٨)، والنسائي (٣٨٠٠))

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الأوضاع الإدارية التي كانت في عصر النبوة في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، ومن أهمها:

في بداية هذه الدراسة تم التحدث عن الخزاعي، وأهمية كتابه ،ونسبه ،ورحلاته ،وممن استمد علمه، وأهم مؤلفاته التي اعتمدتُّها في هذه الدراسة، وما آراء العلماء فيه، وأين كانت وفاته، وما أهمية هذا الكتاب الذي تم اعتماده.

من الوظائف الإدارية التي كانت في زمنه هي صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وكان هناك الآذن والحاجب الذي يقوم بمهمة الإذن للناس للدخول على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومنع إثارة الفوضى في مجالس رسول الله، كما خُصِّصَ كتابٌ يقومون بالكتابة، فمنهم من كان كاتبًا للوحي، ومنهم من كان كاتبًا للرسائل والإقطاع، ومنهم كتاب للصلح والعهود، ومن الأمور الإدارية التي كانت يومئذ وضع ولاة على السوق لمراقبة البيع والشراء ومنع الغش، وقد كان (صلى الله عليه وسلم) يقوم بهذه المهمة بنفسه، وبعدها قام بتوكيل أشخاص يقومون بمراقبة الأسواق.

نتائج الدراسة:

- رأى الخزاعي كثيرًا ليس لديهم معرفة بهذا الأمر، ولم يكن للخزاعي أدوات إلا مداده وقلمه، والسبب الذي جعله يبدأ في كتابته هو أنه يقوم بتوضيح العمالات الشرعية للناس، وإنها لم تكن بدعة، بل كانت نهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وحتى لا يقع الناس في الخطأ، ولكي يكون هذا الكتاب مرجعًا موثوقًا لهم.
- استنتجت أن هناك وظائف إدارية عديدة في عصر النبوة ، في البداية كان هناك صاحب سر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن ثَمَّ الآذن أو الحاجب وكلاهما يقومان بالمهمة نفسها ، والكُتَّاب ولكل منهم مهمة يقوم بها، وفي النهاية الوالي على السوق لكي يمنع الغش والتلاعب في الأسواق.
- وإن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يقم بطلب شخص أن يقوم لحراسته و إنما كان يقوم بنفسه باستقبال الوفود ،وكان الأشخاص يقومون بمهمة الحراسة من تلقاء أنفسهم.
- كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يستعمل أشخاصا ليقوموا بمراقبة السوق لمنع الغش، فمثلا استعمل سعيد بن العاص على سوق مكة بعد الفتح ، وعمر بن الخطاب على سوق المدينة .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

القرآن الكريم.

١. للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، صحيح البخاري.
٢. إشراف محمد سعيد ، مختصر صحيح البخاري ، ط (بيروت، دار نوبليس) .
٣. إعداد د. سعيد اللحام، مختصر صحيح الإمام مسلم، ط (بيروت، دار نوبليس، ٢٠١١).

قائمة المراجع:

١. الخزاعي ، علي بن محمد (تحقيق إحسان عباس) (١٤٠٥ه\ ١٩٨٥م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، ط١ (بيروت – لبنان).
٢. الكتاني المغربي، محمد عبد الحي بن عبد الكبير ، اعتنى به محيي الدين علي نجيب (٢٠١٧م) كتاب التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلية: من كتاب نظام الحكومة النبوية، ط١ (بيروت، شركة دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع).
٣. الكتاني، محمد عبد الحي ، وضع حواشيه علي محمد دنرل(٢٠٠١م) ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع).
٤. للأمير الأندلسي الغرناطي أبي الوليد إسماعيل ، تحقيق د. محمد رضوان الداية (١٣٩٦ه\١٩٧٦م) أعلام المغرب والأندلس ، ط١ (بيروت، مؤسسة الرسالة).
٥. الجبوري، أحمد إسماعيل٢٠١٣)م)، الحضارة والنظم الإسلامية، ط١ (عمان – الأردن، دار الفكر).
٦. عبد اللطيف ، عبد الشافي محمد (١٩٩٦م)، تاريخ الإسلام في عصر النبوة والخلافة الراشدة، بلا. ط (القاهرة، الجريسي للكمبيوتر.
٧. العمري ، عبد العزيز بن إبراهيم العمري (١٤٢٦ه\٢٠٠٥م) ، أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ط١ (الرياض، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر(.
٨. العيساوي، محمد أحمد هربود(٢٠١٨م) ، التنظيمات الإدارية في عصر الرسالة والراشدين، ط١ (عمان، دار أمجد للنشر والتوزيع).
٩. فوزي، فاروق عمر(٢٠١٠م)، تاريخ النظم الإسلامية:دراسة لتطور المؤسسات المركزية في الدولة في القرون الإسلامية الأولى، ط١ (عمان – الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع).
١٠. نويهض ، عادل ١٤٠٠)ه\١٩٨٠م)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط٢ (بيروت – لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر).
١١. اللهيبي ، صالح محمد زكي (٢٠٠٧م) ، التراتيب النبوية: دراسة تاريخية في ضوء صحيح البخاري، ط١ (دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم).
١٢. اللهيبي ، صالح محمد زكي (١٤٣٥ه) ، القضاء في الحضارة الإسلامية دراسة تاريخية، ط١ (الدمام، دار ابن الجوزي(.
١٣. اللهيبي ، صالح محمد زكي (٢٠١٤م) ، النظم الإدارية والاقتصادية في عصر النبوة: دراسة تاريخية في ضوء صحيح مسلم، ط١ (دبي – الإمارات، الأجواد للنشر والتوزيع).

قائمة الرسائل العلمية:

١. حسن، عبدالرحمن عبدالله ، (٢٠٠٩-٢٠٠٨م) ، الرقابة الاقتصادية في الدولة الإسلامية القرن الأول الهجري، درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، نوقشت و أجيزت من جامعة الشارقة ، جامعة الشارقة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

مواقع إلكترونية:

https://hadithprophet.com

موقع حديث شريف، أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)، موقع إسلامي يشتمل على الكتب الحديثية التسعة المشهورة لدى العلماء والباحثين، والتي هي أهم دواوين السنة وأوفاها وأشملها للأحاديث النبوية، وعليها مدار الأحكام واعتماد علماء الإسلام، وذلك عبر العرض في ثوب إلكتروني حديث، يجمع بين أصالة التحقيق وقوة التقنية، بالتعاون مع موقع القرآن الكريم، كما يتيح الموقع إمكانية البحث عن أي كلمة أو جملة في أي كتاب من الكتب التسعة.